

زراعة الشك

الأستراتيجيات الإعلامية المستخدمة في موجة التشكيك المعاصرة وتصورات عن سبل مقاومتها

د.منى فضل

<u>المحتوى</u>

مقدمة

حرب الأفكار

"نخوض حرب أفكار مثلما نخوض حرباً عسكرية"

"إن تلك الحرب تستهدف تغيير المدارك، وإن من المحتم الفوز فيها، وعدم الاعتماد على القوة العسكرية وحدها" ..دونالد رامسفيلد.. وزير الدفاع الأمريكي الأسبق للواشنطن تايمز اكتوبر 2003[1] وتصريحات مشابهة في الواشنطن بوست فبراير2006[1]

بهذه الكلمات أفصح رامسفيلد عن طبيعة الحرب على العالم الإسلامي وفي العام 2008 صدر تقرير من مؤسسة راند , وهي مؤسسة بحثية معنية بالدراسات ورسم الإستراتيجيات تعرف نفسها بأنها مؤسسة غير ربحية تساعد على تحسين السياسات وعملية اتخاذ القرار من خلال البحث والتحليل وتقديم حلول واستراتيجيات لصناع القرار.[2]

تضمن البحث عرضا لخطورة ما أسموه بالإسلام الراديكالي وأهمية الدخول مع من أسمهوهم المتشددين في حرب أفكار تهدف الى القضاء على المنطلقات التي يؤسسون لها في عملياتهم الارهابية على حد وصفهم.

كما قارن التقرير الحالة الحالية بحالة الحرب الباردة مع الاتحاد السوفيتي وكيف استطاعت الولايات المتحدة مواجهة الافكار الشيوعية والاشتراكية وتقديم النموذج الغربي كنموذج داعم للحريات في مقابل النموذج الشيوعي الذي رفع بدوره شعار المساواة والتحرر من الإمبريالية .[3]

وقد ناقش التقرير عدة إشكالات تعد فروقا جوهرية بين الحالة السوفيتية والحالة الإسلامية ..التي بحسب التقرير تشكل تحديا أكبر نظرا لعدم وجود حدود جغرافية تحدد الفئة المستهدفة ,ولا مركزية الفكرة فلا أحد أو جهة تعد زعامة دينية باستطاعتها إحداث تغيرات جذرية بالإضافة إلى وجود صعوبة في وضع خط فاصل بين المعتدلين وغيرهم وتوضيحا لهذا المعنى ساق التقرير مثالا عن أئمة مساجد الدنمارك الذين فجروا قضية الرسوم المسيئة للنبي عليه الصلاة والسلام وجعلها قضية عالمية لا تخص مسلمي الدنمارك فحسب ..يذكر التقرير أن هؤلاء الإئمة كانوا يصنفون من المعتدلين إلا أن موقفهم هذا بيين – بحسب كاتب التقرير– أنهم ليس كذلك!![4]

كما أشار التقرير إلى أن قبول الديموقراطية كوسيلة للوصول وتداول السلطة لا يكفي لتصنيف تلك الجماعات بالمعتدلة ؛ فذلك إجراء تكتيكي فقط لتطبيق الشريعة وبالتالي فهؤلاء أيضا ليسوا من المعتدلين بحسب التقرير.[5]

ثم أورد التقرير بعد ذلك شروطا واضحة ليبين الفرق بين المعتدلين والمتطرفين ,وملخص تلك الشروط هي القبول بالنموذج الثقافي الغربي بالكامل وتحييد الشريعة ,وعدم الإعتراف بها أبدا كمصدر للتشريع على كافة الأصعدة بما في ذلك الاحوال الشخصية [6] .ثم يبدأ التقرير بعد ذلك بطرح تصور استراتيجي يبدأ بتحديد الفئات التي يجب دعمها تنظيميا وماليا وهم : العلمانيون والليبراليون وبعض الفرق الصوفية و حث التقرير على دعم مواجهة من أسماهم بالتقليدين في مواجهة الأصولين ويتضمن هذا الدعم دعم وسائل الإعلام والصحف والكتاب ومنظمات المجتمع المدني[6] .ويتطرق البحث بعد ذلك إلى رسم استراتيجية تفصيلية حول الرسائل التي تبث من تلك المنابر ,على سبيل المثال فيما يتعلق بالمرأة يتحدث التقرير عن المعتدلين و المساواة التامة و تناول قضية الميراث التي تطرح في إطار أن ذلك التشريع كان خاصا بظروف مجتمع المدينة حينها وحسب ![6] .كما بتحدث التقرير عن وجوب دعم تلك الفئات بتنظيم ورش عمل لتناول قضايا معينة وكيفية التعامل معها وكيفية طرحها.[8].

وبعيدا عن هذا التقرير الذي نشرته المنظمة على موقعها ومدى نجاح ما دعت إليه منذ عشر سنين فإن المتابع الآن لهذا الملف _ملف الهجمة التشكيكية الحالية _سيلاحظ اتفاق استراتيجية هذا التقرير معها في أمور واختلافها في اخرى .

فأما الاختلاف هو أن تلك الاستراتيجية كانت تهدف إلى خلق إسلام مناسب لقيم الغرب ..أو ربما في الحقيقة مصالحه. أما الهجمة الحالية فهي تهدف إلى نزع أصول الإسلام بالكلية من العقول والافئدة ..ولربما كان يعني ذلك في رأيي فشلا ما في تحقيق هدف التمييع فصارت الحاجة إلى الاستئصال ..

وأما موطن الاتفاق فهو وجود استراتيجية ثابتة لها بصمة واضحة لا تخطؤها العين ..فهي ليست موجة فكرية عفوية خالصة بل هي حرب منظمة. وقد أشار الشيخ أحمد السيد في كتابه "سابغات" إلى أن أحد سمات هذه الموجة التشكيكية هي الهدم لا البناء ..نعم هي موجه هدامة فوضوية لكنها فوضى منظمة ..لها استراتيجية ثابتة وهذا ما أحاول رصده في هذا البحث البسيط.

عرض للإستراتيجيات الإعلامية المتبعة في الموجة التشكيكية المعاصرة

أحاول في هذا الجزء عرض بعض ما يمكن تسميته بالاستراتيجيات أو التكتيكات الاعلامية التي أراها تستخدم بشكل ثابت ومنظم وكأنها بصمة واضحة في كل القضايا التي تطرح في هذا الملف

وأحاول أن أدلل عليها ببعض الأمثلة على سبيل التوضيح لا الحصر..

الاستراتيجية الأولى :

1.نقل الثابت الى النسبي :

"الحق المطلق لا يملكه أحد".."لا تحتكر الحقيقة".."الحق نسبي"

هذه الجمل وأخواتها ..تلازم كل من يدعون إعمال العقل والتشكيك على كافة المستويات , وهي النقطة التي تبدأ منها عملية خلخلة الأفكار ,فلا حق ولا باطل ولا ثابت ...كل المسلمات و البديهيات تنقل إلى خانة وجهات النظر والتفضيل الفردي ..فالدين بأكمله مجرد وجهة نظر محتملة يتبناها المسلمون وليس لهم أن يفرضوها على غيرهم وعليه فكل القيم الأخلاقية والأحكام الشرعية هي أمر نسبي !!

هذه الفكرة السفسطائية بمثابة الفيروس الذي يعطل مراكز الإدراك في الوعي كله .. بل لقد أدت أيضا بالبعض إلى اعتبار الكذوب صاحب وجهة نظر مغايرة أما منتقدوه فمتعصبون ضيقوا الافق !! ..

كما أماتت في قلوب البعض ما نسميه الغيرة على الإسلام وشكلت له مناعة ضد أي سبيل للنصح أو بيان الحق ..

ولا يقتصر استخدام هذه الاستراتيجية على الترويج المباشر لهذه العبارات ,بل يمكن أن يأخذ أشكالا غير مباشرة كاستضافة ضيفين يتناظران حول الشذوذ وحقوق من يسمونهم بالمثلين , وربما ظهر مقدم البرنامج بشكل غير حيادي ومتحيز لأحد الضيفين لكنه في كل الأحوال نقل الثابت إلى النسبي , ولربما طرح استطلاعا للرأي هل أنت مؤيد أم معارض..فإن كنت معارضا فلا بأس لكن عليك احترام المخالف لأن المسألة وجهة نظر ..!!!

كثيرات ممن خلعن الحجاب كانت حجتهن أن "المسألة وجهة نظر ..فهناك من قال بفرضيته وهناك من لم يقل بفرضيته" ..وأعطي مثالا على ذلك ..بكتاب لأحد المشككين في فرضية الحجاب ..وهو عبارة

عن مقالات كان قد نشرها في مجلة روزاليوسف والتي قامت بدورها ايضا بنشر رد الشيخ سيد طنطاوي رحمه الله في نفس المكان .. وقد قام الكاتب باعادة نشر المقالات في كتاب مرفقا ردالشيخ رحمه الله ..كان مما ذكره الكاتب أنه اعتاد على هذا الحوار الراقي مع الشيخ الطنطاوي وذكر بعض الأمور التي ناقشها مع الشيخ من قبل ,والكثيرون ممن قرأوا هذا الكتاب يتحدثون عن رقي هذا الحوار وهذا الخلاف ..فالمسألة إذا محل خلاف ..فلا ينكر على من ينكره!!

فمقالات الكاتب كانت تضرب بعضها بعضا وتعج بالمغالطات المنطقية والأخطاء المنهجية فضلا عن بعض الاجتزاء والتأليف والتحريف ..لكن الهدف الأكبر منها هو مجرد نقل الثابت إلى محل الخلاف ووجهات النظر ..[8]

2.الإستراتيجية الثانية:

المعلومة الخاطئة أو لنقل الأكذوبة

ويعتمد في هذه الاستراتيجية على أن العقل يستقبل ما يطرح له على شكل جمل تقريرية باعتباره أمرا مفروغا منه وحقيقة لا جدال فيها ..هذا ما يحدث مع أغلب الناس, أما العقل الناقد فلا بد له من تحقق من صحة المعلومة ابتداء ..أو ما يعرف بFact check وهو مالا يفعله معظم القطاع المستهدف إعلاميا في هذه الموجة.

هذه الإستراتيجية تتضح أكثر ما تتضح في نقل ما يتعلق بالأبحاث العلمية التجريبية المزيفة أو كما تطرح عند الحديث عن تصور معين للمجتمعات الغربية.

مثال ذلك..في سياق التشكيك في فرضية الحجاب بل والتحريض ضده تجد جل العلمانيين يرددون جملة بشكل تقريري وكأنها معلومة ثابتة وهي "أن الدول الإسلامية هي الأعلى في العالم في معدلات التحرش والإغتصاب العالمية ..على الرغم من انتشار الحجاب" , بل قد يزعم آخرون أن "النظرة للمرأة في المجتمعات الإسلامية وثقافة الاحتشام هي السبب وراء ذلك..أما المجتمعات المنفتحة التي لا يعاني أهلها من الكبت والهوس فلا يحدث ذلك أبدا .".

وببحث بسيط سريع على المواقع المتاحة نجد أن هذا الكلام غير صحيح بالمرة, فالمجتمعات الغربية غارقة في جرائم التحرش والاغتصاب والمجموعات النسوية تنظم مظاهرات عنوانها "معا ضد ثقافة الإغتصاب" وتتحدث عن لوم الضحية على الملابس !! فلم الإصرار على نقل معلومات مغلوطة ؟؟[9] ولست بصدد مناقشة اسباب التحرش في المجتمعات وعلاجه وعلاقة ذلك بالحجاب إنما طرحت مثالا على معلومة تروج

وكأنها ثابتة لا جدال فيها وهي في الواقع أكذوبة ..وفي الشأن العلمي التجريبي لن يتسع المقال لسرد أمثلة عن أكاذيب تروج بشكل تقريري ,يتبين بعد بحث صغير فيها أنها فقط معلومة غير صحيحة .

3.الإستراتيجية الثالثة :

الإجتزاء .

نقل "جزء" من صورة كاملة لرسم انطباع أو تصور معين . ذلك أكثر ما يتبع في السير أو الآراء الفقهية

بل إن هذا مايتم عند طرح أغلب الشبهات التي ليست في أصول الإسلام, فالحديث عن غزوة بني قريظة بعيدا عن سياقها ماهو إلا إجتزاء ,والحديث عن أحكام الجهاد وكيف تعامل الإسلام مع الرق كل ذلك لا يطرح الا بطريقة اللقطات السريعة أو أجزاء من الصورة الكاملة ..كذلك ترديد الروايات الضعيفة والآراء المرجوحة دون عرض لكل ما قيل في مسألة ما هو نوع من الاجتزاء..

4.الإستراتيجية الرابعة

نتيجة لا علاقة لها بالمقدمة ..

يعتمدون في هذه الإستراتيجية على الضجة الإعلامية وهالة الثورية التي يحيطون أنفسهم بها ..فإذا ما تفكرنا في الطرح نفسه ..نجد مقدمة لا علاقة لها بالنتيجة ..فعلى سبيل المثال هل وجود رأي فقهي محل خلاف يقول بعدم فرضية الحجاب على الإماء يعني بالضرورة سقوط فرضيته عن المسلمات في حالة انتهاء الرق؟؟ وهل وجود روايات تنهى عن كتابة الصحابة للحديث في وقت ما يعني ذلك النهي عن إتباع السنة أصلا؟؟وهل اكتشاف شئ جديد في الكون ومعرفته ومعرفة كيف يتم يعني عدم وجود صانع له؟؟

والأمثلا لا تنتهي

5.الاستراتيجية الخامسة

نزع الثقة عن العلماء والفقهاء

لقد تم في الآونة الأخيرة رسم صورة ذهنية عن الفقهاء والعلماء المسلمين في الإعلام بوصفهم كهانا أو أباء لهم سلطة دينية معينة , يغيرون ويعدلون ويضعون الأحكام بحسب رؤيتهم الفلسفية الخاصة ..وتم محو صورة العالم الفقيه الذي يتبع منهجا علميا ثابتا ويبحث عن الحق بدليله ..فصارت هناك دعوات تطالب بعدم إتباع أقوالهم أو بحق "الاجتهاد " لغير المتخصصين كما اجتهد هؤلاء, فتجد هذه الصحفية

وهذا المذيع يقولون إنهم يختلفون معهم , ويجتهدون كما اجتهدوا وعليه فلا يجب أن يسلم أحد لما يعرف بإجماع الفقهاء فلكل وجهة نظره ..وعلينا اتباع القرآن والسنة أو القرآن فقط بحسب البعض .. ..

كما تم ضخيم مسائل الخلاف الفقهي حتى ليظن المتلقي أنهم لم يتفقوا على شئ فأي مطلق وأي إسلام يسعون لتطبيقه كما يدعون .كما يتم أحيانا التركيز على بعض الأقوال المرجوحة دون عرض الردود عليها من قبل العلماءأيضا...ويصاحب هذا الطرح دعوة خبيثة مشبوهة ألا وهي **"تنقية كتب التراث"** وفي الحقيقة لا أعلم تحديدا هل يقصدون معنى آخر غير تحريف وتزوير الكتب ؟؟؟ولا أدري ما الإشكال في تفنيد قول صاحب كتاب ما في كتاب آخر بدلا من تحريف الكتاب الأصلي بغير كاتبه ؟؟ هذه دعوة ليست ضد الإسلام وحسب , ولكنها ضد الأخلاق وضد أمانة البحث العلمي ,إلا أنها تكاد تكون علامة مميزة وشعارا لصيقا لكل أدعياء الإصلاح والعلم والتنوير !! وربما تصدرت هذه الدعوة عناوين بعض الصحف[10] ولا أراها إلا تمهيدا لقبول فكرة تحريف أصل الدين نفسه ومصادره المعتبرة ..

6.الإستراتيجية السادسة:

تصوير المجتمعات الغربية على أنها الأعرق والأفضل والأكثر أخلاقية ..

ررسم صورة ذهنية عن الرجل الغربي أنه أكثر إنسانية وتحضرا وأخلاقا وأفضل معاملة وتعمم تلك الصورة لتشمل المجتمعات الغربية بكاملها بصورة أفلاطونية ساذجة , مع غض الطرف عن كم الجرائم التي ارتكبها الغرب ضد المسلمين في الماضي والحاضر, وغض الطرف عما تعانيه تلك المجتمعات من أزمات اجتماعية نتيجة لتفسخ القيم والأخلاق ..كما يتم أيضا الترويج لأفضلية النظم التشريعية الغربية ..وأنها الأقدر على جعل الدول في مركز الصدارة..وبالتالي تكون المعيارية لقيم هذه المجتمعات , ويكون الحكم على أمر ما أنه خير أو شر تبعا لمدى اتساقه مع ذلك النموذج الغربي..فيصير إعدام القاتل قصاصا توحشا ,ومنع قتل الأنفس البريئة فيما يعرف بالإجهاض تدخلا في الحريات وضد الإنسانية..لأن" العالم الحر" .."الإنساني" ..لا يفعل ذلك .

إن اتباع هذه الإستراتيجيات الستة بشكل منظم يجعل المتلقي فريسة سهلة بعد ذلك للقنوات الإلحادية الصريحة التي تطعن في أصول الإسلام وتروج للنموذج البديل , وهو النموذج الغربي فيحل الميثاق العالمي لحقوق الإنسان بديلا عن القرآن والسنة ..

وصف للقنوات التي تستخدم من خلالها هذه الإستراتيجيات

1.وسائل الإعلام:

المسموعة والمرئية منها لاتكاد تخلو من رسائل صريحة وأخرى مبطنه ..

بالطبع هناك البرامج الصريحة التي تطعن في أصول الإسلام صراحة على قنوات تعلن توجهها بشكل واضح..و ليست هي محل النقاش هنا إنما اتحدث عن القنوات التي تعمل على زرع الشك قبل الوصول الى مرحلة الطعن في الأصول..

القنوات الفضائية والإذاعية محل النقاش تستهدف عموم الناس من المسلمين وغيرهم , ومن المهتمين بالبحث في الأديان وغيرهم أيضا ..فتجدهم يروجون لهم بشكل صريح تشكيكات في السنة مع تشويه التراث الاسلامي بدعوى الإصلاح والتجديد..مثال ذلك برنامج إذاعي مدته (ساعة ونصف) لأحد الطاعنين في السنة وفي كل التراث الإسلامي يبث على قناة إذاعية للأغاني من المعلوم أن جمهورها من المستعمين ليسوا من الباحثين ولا المهتمين بملف مقارنة الأديان ![11]

أذكر أنه على إحدى المحطات الإذاعية الشبابية أيضا , كانت المذيعة تحفز المستعمين على رفض أي نصح في إطار ديني ,واعتبار أن أي شخص يبدي رأيه فيما تفعل ومالاتفعل هو معتد على حريتك الشخصية..وبذلك يصير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة نوعا من التعدي ..ويكون المتلقي بذلك محصنا ضد أي نوع من النصح او بيان الحق بل ومتحفزا ضده !!

ومن أمثلة الرسائل المبطنه كل ما يبث في الأفلام والأغاني والمسلسلات من تشويه لصورة المتدينين والعلماء ,وتطبيع نفسي مع نماذج شاذة ومنحلة تهدف كلها إلى إلف المنكر بين الناس . وقد كان هذا ديدن معظم الأعمال ــإلا من رحم اللهــ منذ سنين ..إلا أنها في السنوات الأخيره اتخذت أشكالا أكثر خطورة وإنحدارا , وصار الهدف الواضح هو نزع وصمة العار المجتمعية للنماذج شديده الشذوذ والإنحلال بل ووصم الرافضين لها أيضا ..مع عرض سياق وقح من شرح أفكار إلف المنكر وتبريره وأحيانا جعله الأصل المفضل .. كذلك بعض البرامج الحوارية التي تعمل كما أشرت في السابق إلى خلق حالة جدال مجتمعي على الثوابت الدينية .. فقط بهدف زحزتها إلى خانة النسبية..

2.مواقع التواصل :

مواقع التواصل الإجتماعي وهي تعد الوسيلة الأوسع انتشارا في استخدام تلك الاستراتيجيات وتتنوع أيضا الأساليب بين الصريح والمبطن .

فهناك الصفحات التي تروج للإلحاد صراحة ,أو التشكيك في السنة صراحة, او العلمانية والليبرالية بشكل صريح ,او ترفع شعار الحركات النسوية المناهضة للدين بشكل صريح.

و هناك أيضا الصفحات التي تتخذ ستارا ما لجذب المتابعين قبل بث الأفكار التشكيكية ..

كالصفحات مدعية العلم التي تنقل تحت هذا الستار الزائف آراء فلسفية الحادية..كالترويج لمزاعم الملاحده حول عيوب مزعومة في خلق الله على أنه ماتوصل إليه العلم ,وإهمال توضيح أن ذلك مذهب فلسفي لبعض العلماء و هناك من العلماء التجريبين أيضا من ينكره لأنه ليس من العلم في شئ بل هو موقفهم الفلسفي ..او الإدعاء بأن المثلية لا علاقه لها بمرض الايدز مثلا ..(12)هناك أيضا الصفحات التي تحمل توجها تسميه "حقوقيا".. وهي في رأيي الأخطر على الإطلاق ..فهي تعلن تضامنها مع حقوق المسلمين المستضعفين في مشارق الأرض ومغاربها وتحشد رأيا عاما في هذا الأتجاه , ثم تعلن أنها بالمثل واتساقا مع الذات (!) تتضامن مع الشواذ ومع حقوق المرأة بالمفهوم الغربي ..وكأن التضامن مع المظلوم يستلزم بالضرورة التضامن مع الجرم في مكان أخر ..(13)

تكمن خطورة هذه الصفحات بأنها تتضامن مع مظلوميات حقيقية في بلدان إسلامية وبذلك تحصل لها المصداقية عند الكثير من المتابعين لكنها فيما بعد تروج للنموذج الغربي باعتباره البديل الأمثل .

3.الروايات والكتاب والندوات:

الروايات والكتابات والندوات الأدبية تكون أحيانا أحد المنابر ,لكنها تظل محصورة على قطاع معين من الجماهير الذين بإمكانهم البحث عما يعارض محتواها ,فالمتلقي في هذه الحالة لن يكون سلبيا دائما برأيي ..لكن في الفترة الأخيرة انتشرت نوعية معينة من الروايات التي تروج بشكل صريح أو مبطن للإلحاد أو خلخلة الثوابت وفي بعض الأحيان بشكل فج ومبتذل.. وهو الأمر الذي لم يكن معهودا من قبل إلا من بعض الأسماء التي ظلت لفترات طويلة بمعزل عن قطاعات شبابية ..وكالعادة يفخر هؤلاء الكتاب الجدد بمجرد إثارة الجدل في الأوساط الأدبية وجمهور القراء بين مؤيد ومعارض ,بل قد يعد أحدهم ذلك __أعني مايسمونه بإحداث حالة الجدل وأسميه أنا فرقعة إعلامية فارغة __من علامات النجاح أصلا, ويتم الإحتفاء

بهم بوصفهم نبهاء وغير تقليدين ومبدعين وما إلى ذلك ,على الرغم حتى من ضعف المستوى الأدبي أو الفني أيضا وكأن الاحتفاء هو فقط بمهاجمة الإسلام والله المستعان..

كان ذلك عرضا سريعا للخطوط العريضه حول الاستراتيجيات الإعلامية التي أراها متبعة في موجه التشكيك المعاصرة

وصف الحراك الدعوي المقاوم ..مواطن قوته وضعفه

الحمد لله الذي سخر لهذا الدين من العلماء وغير العلماء من شباب وفتيات استشعروا تلك الهجمة ودفعتهم غيرتهم على الدين إلى التوجه لسد هذه الثغور ..وكما أن المتابع لملف الإلحاد يلاحظ البصمات والاستراتيجيات الهدامة , بإمكانه أن يلاحظ الحراك المقابل والمبادرات المشرفة التي يقوم بها الأفراد والمؤسسات في محاولة صد هذه الهجمة الشرسه غير الأخلاقية. ترى ذلك الحراك في الكتب التي ناقشت شبهات الملحدين وفندت جل شبهاتهم ,والمواقع والصفحات التي تعمل على مواجهة تلك الأفكار, ونجحت في ضحد الكثير من شبهاتهم , وأرى أن هذا الحراك يتمتع بمواطن قوة وضعف في آن واحد وهو ما أحاول أن أبينه في هذا المبحث بإذن الله ..

تتميز الحركة المقاومة للمد التشكيكي بكونها لامركزية, عفوية, تطوعية, ولا تحدها حدود جغرافية ببلد معين. وهذا في رأيي من مواطن القوة التي تجعل هذا الحراك عصيا على السيطرة أو الاستهداف باذن الله..

1.**اللامركزية** تعني أنه لا توجد جهة أساسية ولا مؤسسة بعينها اذا تم احتواءها او السيطرة عليها ينتهي كل شئ ..

2.**العفوية** ..دون ترتيب مسبق ولا تخطيط ..فقط مسلمون غيورين على دينهم أدركوا أن هناك مايحاك لأمتهم فهبوا للدراسة والقراءة وتعزيز اليقين في أنفسهم وفي محيطهم...

3.أن الأعمال في معظمها **تطوعية** ابتداء لا ترتبط بتمويل جهة ما ينقطع معه نشاطها إذا انقطع..فكل يعمل بماهو متاح له..

4.**لاحدود جغرافية لها** , فالغيورون على الإسلام لا تحدهم حدود..فتجد المبادرة الواحده تجمع الطلاب والمتخصصين من مختلف بقاع العالم الإسلامي ..بل لعلها من محاسن تلك الحملة التشكيكية الخبيثة ؛أنها خلقت نوعا من الوحده بين المسلمين ربما لم تكن بمثل هذا الزخم قبل تلك الهجمة.

5.أن بعض هذه المبادرات تهدف إلى **بناء كوادر مؤهلة علميا** لمواجهة تلك الموجة ..وتكوين نواة صلبة من العارفين بمداخل الشبهات والرد عليها..[14]

وحتى الآن فإن هذا الحراك يؤتي ثماره على مواقع التواصل الاجتماعي بين المهتمين بقضايا تعزيز اليقين ومقارنة الأديان..

أما بالنسبة لمواطن ضعف هذا الحراك..فهي في رأيي كما يلي:

1.لاتزال **دائرة التأثير مقتصرة على المهتمين** بالملف الإلحادي أصلا, في حين أن الطرف الآخر يستهدف كل القطاعات من أعمار ومستويات فكرية وثقافية مختلفة ..وقد يعود ذلك إلى أمرين أحدهما أن المحتوى العلمي أو الاعلامي للحراك الدعوي نفسه يتناسب مع شريحة معينة . والأمر الآخر مرتبط بتعقيدات الأوضاع في البلدان الإسلامية, والتي أدت إلى التضييق على الدعاة وحصر دور المسجد في الصلوات الخمسة في بعض البلدان..مما يحول دون الوصول الى كافة القطاعات..فضلا عن عدم إتاحة نفس المساحات الإعلامية في أغلب المحطات والإذاعات. ولعل الفضاء الإلكتروني هو المتنفس او المكان الأوسع لوصول الرسالة الإعلامية الدعوية[15] .

2.**عدم وجود استراتيجية إعلامية واضحة** ..فاللامركزية وإن كانت من مواطن القوة ,إلا أنها لاتعني بالضرورة عدم التنظيم ..أو عدم وجود مخطط عام لتحديد الجماهير المستهدفة إعلاميا ,والرسائل المناسبة لها وكيفية تحصينها ابتداء ..لا انتظار وقوع الشبه والفكرة التشكيكية للرد عليها ..جل الأعمال والمبادرات تتحدث عن الرد على شبهة كذا أو الرد على فلان ..دائما تعد في سياق رد الفعل ..أما التخطيط الإعلامي الإستراتيجي هو الذي يعمل على ما يسمى **بالتحصين الإعلامي** .

3.**القصور في الجانب الإعلامي من الناحية الفنية** ...وهذا أمر معلوم للأسف. فالعديد من الدعاة والعلماء والأفاضل على الرغم من علمهم الواسع ,إلا أنهم لديهم قصور في مهارات التواصل وطرق العرض . فتجد صاحب العلم الواسع لا يتابعه إلا طلبة العلم ,وان تابعه بعض البسطاء ربما انساقوا وراء بعض الساخرين الذين تصيدوا كلمة ما او طريقة عرض غير موفقة ,في حين أنك تجد أح الطاعنين في الدين يتابعه الملايين لمجرد طريقة عرضه المبهرجة او اداءه الذي يصفه البعض ب(الكاريزما).

\

مقترحات إعلامية للمواجهة

في هذا المبحث أحاول طرح تصور إعلامي يتضمن تحديد الشرائح المستهدفة ,و الرسائل العامة التي تعمل على تفكيك استرتيجيات المشكيين, والوسائل الاعلامية المتاحة لها.

لا يزال تأثير الخطاب الدعوي المدافع عن الإسلام ضد الموجة التشكيكية المعاصرة مقتصرا على فئة الباحثين في الملف الإلحادي أو من تأثر بالشبهة فعليا , بعكس الخطاب التشكيكي الذي يعد بذلك متقدما بخطوة وهي استهداف كافة الشرائح , وهذا التباين لا ينبغي له أن يستمر في رأيي. وليس المقصود بذلك طرح كل الشبهات على عامة المسلمين وغيرهم استباقا ,ولكن المقصود هو تحديد رسائل إعلامية تحصينية مناسبة لكل شريحة ..

أولا الفئات المستهدفة:

- الفئات المهتمة بالبحث في الملف الإلحادي ومقارنة الأديان ..وهذه الفئة الخطاب الدعوي الحالي يبلي فيها بلاء حسنا مشرفا وأعتقد أنه بدأ يؤتي ثمرته في تعزيز اليقين .
- الفئات غير المهتمة بالبحث في مقارنة الأديان ,وغير العابئة بموجة التشكيك الحالية من مختلف الفئات العمرية والمستويات الثقافية ..وتتضمن هذه الفئة بعض الشرائح التي يجب أن تحظى بالإهتمام بشكل خاص وهي :

1. الشباب
2. الأطفال والمراهقين.
3. غير المسلمين

ثانيا: بعض الرسائل الإعلامية المقترحة لتفكيك استراتيجيات المد التشكيكي :

1.الرسائل العامة التي ينبغي أن تصل لكل الفئات :

أ. تعلم طريقة **التفكير الناقد** و أصول التحقق من دقة المعلومات وأنه لا ينبغي على المسلم أخذ كل جملة تقريريه بشكل مسلم به بل عليه أن يتحقق من دقتها ..

ويمكن إيصال هذه الرسالة من خلال برامج ثقافية خفيفة ليس من الضرورة أن تحمل محتوا دعويا صريحا بل من الممكن أن تكون برامج علمية أو حتى فكاهية طريفة تكشف بعض الأكاذيب التي يتناولها الخطاب التشكيكي باعتبارها حقائق علمية ..في سياق خارج سياق الرد على كذا او الرد على فلان ..

ب. تعليم **أساسيات العلم الشرعي ..لكل المسلمين ..بمختلف الأعمار ..**

والمقصود هنا كل مالايسع المسلم (الآن تحديدا) جهله وهذه بعض المقترحات

- أصول **عقيده التوحيد**..مع التركيز على رسالة مركزية وهي كون الإسلام **المعتقد الذي يدلل على صحته بالبراهين والأدلة** وأن لغة الخطاب القرآني تستخدم البراهين **العقلية** التي لا يرفضها إلا مكابر .
- **تبسيط أسس علم الحديث:** لو تم تبسيط أساسيات علم الحديث ووصلت إلى عوام المسلمين وأدركوا عظمتها لن يستمعوا إلى طاعن في الحديث إلا وهم يتهمونه إما بالجهل أو التدليس ..وتعلم أصول علم الحديث كفيل بتعلم طريقة التفكير النقدية ,وتحري الصدق والدقة في التعامل مع الأخبار والأقوال بشكل عام أيضا ..فينبغي على الدعاة أن يسعوا إلى تعليم عوام المسلمين أصولا بسيطة عن علم الحديث ..
- **معلومات أساسية فيما يخص مناهج بعض كتب التفاسير** من حيث أن بعضها قد يفسر بالمأثور,. واعتبارها كتبا لجمع المعلومات والمرويات تماما كمحرك البحث مثلا ,حتى إن بعضها اهتم بجمع كل ماقيل في أمر ما, بما في ذلك مرويات الرسائل السابقة على الإسلام وبين الموقف منها .. وهذه هي طبيعة تلك الكتب التي تتبع طريقة التفسير بالمأثور ..وتختلف مناهجها في

التدقيق أو الجمع المجرد وفي الحياد من كل الأقوال أو الترجيح بينها ..وأن تلك الرويات تخضع لتقييم علماء آخرين مختصين بفحص اسنادها وتدقيقها, وتتفاوت رواياتها من الصحة والضعف , وأن الأحكام الفقهية لا تؤخذ من كتب التفسير مباشرة , بل من كتب الفقه .. بذلك لن يكون من المقبول لدى المتلقي أن يأتي مشكك برواية ما ذكرت في أحد كتب التفسير وتحدث العلماء عن ضعفها, ثم يدعي بذلك أنها "شبهة مكتوبة في كتب تراثكم" .

- **إعادة رسم الصورة الذهنية الصافية لعلماء المسلمين.**

عن طريق بيان اتباعهم **لمنهج علمي** ثابت باحث عن الحق بدليله..وأنهم حين يختلفون, إنما كان ذلك لاختلاف طرق استدلالهم في الفروع ..وأن القول بإجماعهم لا يعني انهم اجتمعوا سويا في اجتماع كهنوتي مغلق , بل هو منهج علمي يتبعه الجميع..وينتج عنه إجماعا من علماء ربما لم يتقابلوا أصلا.... كما يتضمن ذلك أيضا مواجهة دعوة" **تنقية كتب التراث"** بشكل واضح وقاس باعتبارها دعوة صريحة **للتحريف والتزوير** ,وأن المطالب بها لم يفعل ذلك إلا لاعتياده على منهجية الحذف والتحريف . إن علماء المسلمين كانوا يفندون الحجج , ويفحصون الروايات ويقيمونها من حيث الصحة والضعف, وافردوا كتبا لجمع الأحاديث الموضوعة ولم يقم أحد بحذف شئ من كتاب لأنها خاطئة أو غير دقيقة ..فينبغي على المطالب بهذه الدعوة أن يناقش محل تشكيكه, ويبين بالحجة أوجه الضعف من وجهة نظره لا أن يطالب بالحذف والتزوير ..

- **التركيز على مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** والذي يعني **عدم نسبية القيم الأخلاقية** ..وأنه من خصائص أمة الإسلام, وسبب خيريتها إن التزمت به وأن غياب هذه الفريضة يعني عدم وجود معيارية ثابتة للأخلاق, فيكون مجتمعا بلا قيم ولا أخلاق..ويجب بيان تناقض أدعياء الدفاع عن الحريات الشخصية حين يرفضونه ,بينما يقومون هم بالدعوة إلى منكرهم ..هذه الرسالة الإعلامية قد تساهم في مقاومة استراتيجية نقل كل الثوابت إلى النسبية

- **الإهتمام بالرقائق الدعوية** ومخاطبة فطرة الناس من أهم السبل التي ترقق القلوب وتفتح الأذهان إلى تقبل الحق .

ج. **عرض صورة حقيقية عن المجتمعات الغربية** ..خاصة فيما يتعلق بقضايا المرأة ومعدلات الجرائم والانتحار, او كما يقول البعض **الغرب بلا مكياج إعلامي كاذب** ,وبيان العوار التشريعي الذي يتضح

في بعض الأحيان ,كإلغاء عقوبة الإعدام للقتلة وإباحة ازهاق الأنفس البريئة تحت مسمى حق الإجهاض مثلا .كذلك التركيز على تبعات النظرة المادية في مقابل النظرة الإسلامية العادلة التي راعت العقل والعاطفة واتسمت بالواقعية ..

د.مقارنة بين ما ينبغي أن تكون عليه المرأة في الإسلام وما هي عليه الآن في ظل هيمنة الثقافة الغربية المادية في الغرب وفي البلاد الإسلامية على حد سواء .

هـ.التركيز على أن ما تعانيه المجتمعات الإسلامية اليوم من أزمات اجتماعية وأخلاقية سببها بالأساس البعد عن الإسلام وهيمنة النموذج الثقافي الغربي ..فعلى سبيل المثال ..ظاهرة التحرش والاعتداءات الجنسية وان كانت ظاهرة عالمية و معدلاتها عالية في الدول الغربية, إلا أن أحد أهم أسباب ظاهرة التحرش في الدول الاسلامية هو التسويق للنموذج الغربي المادي ونظرته للمرأة على أنها ماده , وذلك من خلال ما يبث في **وسائل الاعلام المختلفة من محتويات هابطة** غريبة عن الثقافة والبيئة الإسلامية ..

و. التوعية بأسباب استهداف الإسلام كفكرة مقاومة للهيمنة الغربية.

2.الرسائل الإعلامية الخاصة :

أولا :في إطار الرد على المشككين ..

- التركيز في الرد على كشف الإستراتيجيات المشار إليها في بداية البحث من الإجتزاء, والتدليس والمعلومات, المغلوطة ,وفي حال انتفت شبهة (الجهل) لدى الطرف المشكك ,لابد من بيان ذلك في إطار أن ذلك (كذب) وليس مجرد رأي مخالف ..

- عدم الإنسياق إلى مناظرات علنية حول قضية ثابتة لدى عوام الناس كالشذوذ مثلا ..غاية مايريدونه هو نقلها لدى العوام إلى خانة وجهة النظر ..وفي حال طرح أحدهم طرحا مماثلا على منبر عام يكون الرد عليه في منبر عام آخر مستقل .

ثانيا:الشباب ..الاهتمام بخطاب دعوي يخاطب العقل والعاطفة ,وكذلك تقديم محتويات علمية عامة تدرب على طرق التفكير الناقد ..بأسلوب بسيط وجذاب , وكذلك تبسيط العلوم الشرعية بهدف التحصين لا بهدف التخصص..

ثالثا:الأطفال والمراهقين

- لابد من العمل على تربية جيل يعلم هويته ويعرف دينه حق المعرفة . ولا يعول كثيراللأسف على أنظمة التعليم الحكومية الرسمية ..لذلك من الأفكار التي ربما تكون مفيده هي العمل على **وضع منهج علمي خاص بكل فئة عمرية** بحيث يتعلم الطفل اساسيات العقيده وعلوم القرآن والحديث والفقه وسير الصحابة ويكون متاحا على **الفضاء الإلكتروني للأسرة المسلمة..لتعليمه لأطفالهم** .
- الإهتمام بعمل **ببرامج ترفيهية للأطفال** تعزز قيم الانتماء لدينهم وثقافتهم وتحصنهم إذا ما تعرضوا لرسالة تخالف معتقداتهم وثوابتهم..

رابعا: غير المسلمين:

الخطاب الإعلامي الدعوي حين يتعلق الأمر بغير المسلمين أحيانا للأسف يتخذ طابع الاستعداء ابتداء ..وهذا في رأيي غير مفيد..فلابد من عرض الحق بدليله بشكل واضح لتلك الفئات والمجادلة بالتي هي أحسن. لأن طريقة الاستهزاء أو التجريح أو الاتهام غالبا ما تؤدي إلى مزيد تعصب, وعزوف عن الاستماع إلى الحق, وصد عن سبيل الله..ومن الرسائل التي ربما تكون مفيده أيضا في هذا الإطار ..

- التركيز على أن الحضارة الإسلامية حفظت لغير المسلمين حقوقهم في التعبد والاحتكام لشرائعهم وأن ذلك أمر ثابت لا يتغير في الشريعة الاسلامية بعكس النموذج الغربي الديموقراطي العلماني الذي لو طبق بأكمله في بلادنا فإن أمرا كهذ يخضع إلى ما تراه الأغلبية .
- التركيز على أن غير المسلمين أيضا كانت لهم إسهامات في الحضارة الإسلامية التي شملت مكونات مختلفة .
- عرض الردود على أكثر الشبهات التي يستمعون إليها ليل نهار, مثل الجزية والجهاد والفتوحات الإسلامية.

3.القنوات الإعلامية المتاحة:

- الفضائيات والإذاعات:
- تستهدف كل القطاعات لكنها ليست متاحة لهذا الخطاب في كل البلدان الإسلامية
- الكتابات والمقالات في الصحف .
- الروايات والقصص والندوات الأدبية.
- الفضاء الإلكتروني :

يعد الفضاء الإلكتروني هو المتنفس الأهم لمواجهة تلك الموجه دون تضييق من أي نوع , وبالأخص في مواقع التواصل والتي تتمتع بميزة سعة الانتشار ,والقدرة على تقييم التفاعل مع المحتوى بشكل أكبر ومن ثم إعاده تطوير الأداء الإعلامي تبعا لذلك ..

دور المساجد:

ينبغي ألا يقتصر دور المسجد فقط على اداء الصلوات والدروس الدينية المعتادة ,ولكن من الضروري أن يظل منبرا إعلاميا مستقلا , يعمل على نشر الرسائل التحصينية لعامة المسلمين . وينبغي أن تكون هناك أنشطة أخرى ثقافية وتشجيعية للنشء , يتعلمون فيها المزيد عن دينهم وقرآنهم وتتعلق قلوبهم به منذ الصغر ..كالمسابقات في تحفيظ القرآن و الحديث وذلك بالطبع في البلدان الإسلامية التي يكون ذلك فيها متاحا والله المستعان.

بقي أن أشير إلى أن تنفيذ هذه المقترحات يتطلب تدريب كوادر إعلامية على مهارات التواصل وكيفية التاثير والاقناع , وتكون مؤهلة للحديث في الشأن الدعوي ..

كانت هذه بعض المقترحات التي أظن أنها قد تفيد الخطاب الدعوي الحالي في ظل موجه التشكيك المعاصرة ..وفي النهاية لا يسعنا إلا أن نسأل الله العون والتوفيق والسداد , ونعلم يقينا أن الله متم نوره ولو كره الكافرون ,وأن الإسلام تعرض من قبل لهجمات ونوازل , فلم يغير ذلك من دين الله شيئا .ويكفي أن نعلم أن اعداء الإسلام يعترفون بذلك ..يقول أحد المستشرقين الكارهين للإسلام والمؤسس لمنظمة محاربة له ..إن الغرب فشل في تعديل الإسلام كما عدل اليهودية والنصرانية ,فلا يمكن الحديث عن إصلاح الإسلام نفسه. .(16)

وهذه الهجمة غير الأخلاقية ستعمل من حيث لا يحتسبون على تعلم الشباب دينهم على أسس صحيحة ,وعلى توحيد المسلمين ,وان زراعتهم للشك لن يحصدوا منها إلا اليقين .

والحمد لله رب العالمين.

الهوامش

1.عدد الواشنطن تايمز دونالد امسفيلد

https://www.washingtontimes.com/news/2003/oct/23/20031023-114713-4202r/

عدد الواشنطن بوست

http://www.washingtonpost.com/wp-dyn/content/article/2006/02/02/AR2006020202296.html

2.تعني الأبحاث والتطوير Research and Development

"RAND Corporation " وتعتبر "مؤسسة راند أحد أهم المؤسسات الفكرية المؤثرة على صناعة القرار في الإدارة الأميركية الحالية، خاصة فيما يتعلق بمنطقة الشرق الأوسط، ولذلك تميل الإدارة الأميركية إلى تبنِّي مقترحات مؤسسة (راند)، وهو ما يجعل لإصداراتها أهمية خاصة في هذه المرحلة "وللمزيد من التعرف على "منظمة راند" يمكن الإطلاع على موقع المنظمة في الشبكة العنكبوتية"الإنترنت" وهذا رابطه:
http://www.rand.org/

3.تقرير مؤسسة راند بعنوان بناء شبكات مسلمة معتدلة الصادر في 2008 الفصل الثاني"الحرب البارده" ص7

4.نفس التقرير الفصل الثالث " اوجه التشابه بين حالة الحرب البارده والتحديات مع العالم الإسلامي"ص37 وفي مقدمة البحث تمت الإشارة إلى الإمام الدنماركي .

5.التقرير الفصل الخامس"خارطة الطريق نحو بناء شبكة مسلمة معتدلة في العالم الإسلامي " ص69

6. التقرير الفصل الخامس "خارطة الطريق.." ص68

7.التقرير الفصل العاشر "الاستنتاجات والتوصيات"ص144وهذا رابط التقرير

https://www.rand.org/search.html?query=Building%20Moderate%20Muslim%20Networks

8.كتاب حقيقة الحجاب وحجية الحديث للمستشار محمد سعيد العشماوي

9.الاحصائيات الغربية تتحدث عن انتشار أشكال من التحرش وتتحدث بشكل أوضح عن جرائم الإغتصاب ومن أشهر المواقع الإحصائية الأمريكية موقع RAINNالذي يبين تعرض الأمريكيين من الجنسين وأيضا الأطفال إلى تحرشات واعتداءات جنسية بمعدلات مرعبة وأيضا يذكر انتشار الإغتصاب في أروقة الجامعاتhttps://www.rainn.org/statistics وبنظرة سريعة على صور المظاهرات التي تقوم بها النسويات نجد شعار Stop Rape Culture وذلك في كل الدول الغربية أيضا..

10.تنقيه كتب التراث..تصدر هذا العنوان الكثير من الصحف والبرامج بل إن بعض متطرفي العلمانية في مصر اقاموا دعاوى قضائية ضد مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر لتقاعسه عن هذه التنقية!!

https://www.masress.com/rosaweekly/28633

11.برنامج اسلام البحيري على اذاعة ميجا اف ام بعنوان إسلام حر ..مده الحلقة ساعة ونصف تقريبا

12.صفحة "أنا أصدق العلم"كمثال وهناك صفحات أخرى تروج لنفس المحتوى .

13.صفحة "المبادرة المصرية للحقوق الاساسية " و صفحة "لا للكراهية"كمثال.

14. ويعد برنامج صناعة المحاور والذي شرفت بكوني احدى طالباته من أشهر وأقوى تلك المبادرات ..التي وضعت اللبنة الأساسية لدى الكثيرين في طريقة البحث ومعرفة طرق التعامل مع الشبهات بشكل تفصيلي ..وهناك مبادرات أخرى مشرفة أخصها بالذكر مبادرات الدكتور هيثم طلعت, و صفحة كهنة الإلحاد التي تخضع لإشرافه ,ومجموعة "ورينا نفسك" لمناظرة الملحدين ,ومبادرة صفحة الباحثون المسلمون التي عمدت إلى مواجهة الأكاذيب التي تستتر باسم العلم.

15. تجدر الإشارة إلى أن حرب الأفكار الحالية تعتبر معركة غير متكافئة والله المستعان.

16. Dr.Bill Warner..مؤسس مركز دراسة الإسلام السياسي CSPI وهو مركز استشراقي معاد للإسلام وقد اعترف في حلقة على اليوتيوب باستحالة إصلاح الإسلام بما يناسب الغرب .

https://www.youtube.com/watch?v=H6kWrI0V0LQ